نظرية الحب الإلهي في كتاب "روضة التعريف بالحب الشريف" للوزير لسان الدين بن الخطيب.
قراءة وصفية.

حياة درويش
جامعة وهران 2

Abstract

Cet article est une lecture descriptive de ce qu'Abd al-Rahim Alami a présenté dans sa recherche intitulée "La théorie de l'amour divin" dans le livre " RAWDAT AL TAARIF BIL HOBB ACHARIF " de WAZIR LISSENne ADINE IBN AL-KHATIB

Ce discours dans l'amour divin des différends qui Osalt beaucoup d'encre lorsque le mysticisme érudits de cette Maketbh Ibn al-Khatib en Rodth est venu en réponse au livre « Diwan Al Sabbaba » Ibn Abi Hajla Tlemceni qui lui a fait un livre pour l'amour et les amoureux. Quand IBN AL-KHATIB lui rependre par un livre d'amour de Dieu. la proximité d'amour et la satisfaction de Dieu est comme l'arbre et sa terre l'arbre est l'amour de Dieu et la terre est l'âme de l'homme et des brindilles des sections d'arbre d'amour et laisse ses histoires et des fleurs de fruits qui dérivent

les mots clés

Amour Divin - Arbre - Terre - Amour - Coeur - Ame – soi

. استهل عبد الرحيم علمي كتابه بالحديث عن أسباب تأليف كتاب "روضة التعريف بالحب الشريف" و الذي يراها نتيجة طبيعية لتجربة صوفية عاشها لسان الدين في المرحلة الأخيرة من حياته، و قد تبدت من خلال إنتاجه الشعري و النثري معا.

أما عن حيثيات التأليف فيذكرها لسان الدين في ديباجة كتابه و هو أن كتابا لابن أبي حجلة التلمساني[1] وصل إلى الأندلس، فأحدث جدلا فكريا وصل صداه إلى مجلس محمد الخامس بن الأحمر ملك غرناطة، الذي أمر الوزير بمعارضته،

-1- الدرر الكامنة. ابن حجر العسقلاني. 331/1.و شزرات الذهب. ابن العماد.241/5.
-2- روضة التعريف .لسان الدين ابن الخطيب 72/1.

فلبى الأخير الطلب، لكن بشكل مختلف تماما، إذ كان قد "علاه المشيب" و "قرب الرحيل"و سلك طريق الاستعداد للمعاد"، "لما ورد على هذه البلاد الأندلسية .." "ديوان الصبابة"، و هو الموضوع الذي اشتمل من أبطال العشاق على الكثير، و استوعب من أقوالهم القديمة و الحديثة كل نظم و نثير، فعمر المحافل و المجالس، استجلس فلا يتوقف... و سما به الحد صعدا إلى المجلس السلطاني... فخصته عين استحسانه . أبقاه الله . ... و صدرت إلي منه الإشارة الكريمة بالإملاء في فنه، و المنادمة على بنت دنه،... لكنني امتثلت،... و عن لي أن أذهب بهذا الحب المذهب المتأدي إلى البقاء، الموصل إلى ذروة السعادة في مدارج الارتقاء،... حب الله المبلغ إلى قربه..."[1]

و يعرفنا الباحث بديوان الصبابة فيقول :

أما الكتاب فهو "ديوان الصبابة"، و هو كتاب أراد له مؤلفه أن يكون سجلا للعشق و العشاق، و يجتمع أخبارهم و نوادرهم و أشعارهم و أعلامهم، مع ذكر ما يتعلق بالحب من عوارض و ظواهر، و ما ينتج عنه من آفات. "فحوى أخبار من قتل الهوى،[2] و سار بهم في الحب في كل مذهب ... فهم ما تعرفهم بسيماهم، قد تركهم الهوى كهشيم عقال المحتضر، و أصبحوا من علة الهوى على قسمين، فمنهم من قضى نحبه، و منهم من ينتظر، فهم ما بين قتيل و شهيد، و شقي و سعيد..."[3]

و قد قسمه إلى ثلاثة أقسام:

المقدمة: في ذكر حد العشق و اشتقاقه، و ما قيل في وسمه و رسمه، و أسبابه و علاماته، و مراتبه وأسمائه، و مدحه و ذمه، و ذكر اختلاف الناس فيه: هل هو اختياري أو اضطراري ؟

الكتاب: و يتكون من ثلاثين باب، فيها عن الحسن و الجمال ما قيل فيهما، و المحبين و الظرفاء من الملوك و الخلفاء، و حب النظرة و السماع، و الحمرة و

-1- رد ابن الخطيب على هذه العبارة بقوله و هو يعني طبعا الحب الإلهي.

أنا لا أهيم بذكري مقتل الهوى

و لكن أهيم بذكري من أحياه.

روضة التعريف.1/97.

-2- ديوان الصبابة.لابن أبي حجلة.ص07.

الارتباك و الغيرة، و الاستعطاف، و الرسائل و طيف الخيال، و قصر الليل، و طوله، و العذول، الرقيب و الواشي، و النمام، و العتاب و الهجر، و الصبر، و الخضوع، و انسكاب الدموع، و الوعود، و الأماني، و اختلاط الأرواح، و ذكر الحبيب، و ذكر بعض من أصيبوا بحب النساء، و الغلمان، و العفاف إضافة إلى عدد من الموضوعات التي لها علاقة بالحب كالغناء و بعض مظاهر جمال المرأة، و الحث على العفاف، و غيرها.

الخاتمة: و هي ذكر من مات على حبه و قدم على ربه. و يبدو أن ابن أبي حجلة قد استند في تأليفه لـ" ديوان الصبابة" على تراث أدبي كبير خلفه عدد كبير من المؤلفين من سبقوه إلى هذا الباب أمثال الجاحظ (ت 255ه) في "رسالة القيان"و "العشق و النساء". و ابن حزم الظاهري (ت 456ه) في "طوق الحمامة في الألفة و الآلاف"و أبي الفرج ابن الجوزي (ت597ه) في "ذم الهوى" و ابن القيم الجوزية (ت 751ه) في "روضة المحبين و نزهة المشتاقين" و غيرهم استفادة على مستوى المادة الشعرية، أو بعض مصطلحات الحب، في الحب البشري على العموم.
و لم يكن "ديوان الصبابة" يمثل لابن الخطيب إلا نقطة انطلاق، نظرا لقلة القرائن التي تجمع بين الكتابين و هذا حسب ما أورده الباحث رينيه بيريس(ERESP ENER) في كتابه الشهير[1].

. إن أوجه التشابه و الالتقاء قليلة قياسا بأوجه الاختلاف البارزة و العميقة بين الكتابين، فالروضة من حيث المنطق كتاب في "الحب الإلهي" و الديوان في "الحب البشري" و من حيث المنهج فالأول تحليلي (شجرة) و الثاني إخباري محض، و من حيث المادة المعتمدة فالأول أخبار، شعر، حكم فلسفة و الثاني قرآن، حديث، شعر.
و على العموم، فإن الطريقة التي تناول بها ابن الخطيب قضية الحب الإلهي، في إطار رمزية الشجرة تبقى عملا متميزا في تاريخ التصوف الإسلامي.

---

[3]- La Rawdat Al Tarif Bil Habb Al Charif_Traited nystique nusulnane sur l'anourde de Dieu de Lissan ADDIN AL_KHATIB_par M. Rene Peres.

ينتقل المؤلف إلى الحديث عن المحبة كما تعرضها "الروضة" المحبة الإلهية (الروضة) المعارضة للمحبة البشرية (ديوان الصبابة) حيث يقول ابن الخطيب "حب الله المصل إلى قربة، المستدعي لرضاه و حبه".

و إن فكرة "الشجرة" لعرض رمزي طريف و شامل في الوقت نفسه " و جعلته شجرة و أرضا، فالشجرة: المحبة، مناسبة و تشبيها ، و إشارة لما ورد في الكتب المنزلة و تنبيها، و الأرض: النفوس التي تغرس فيها ، و الأغصان: أقسامها التي نستوفيها، و الأوراق: حكاياتها التي نحكيها، و أزهارها: ثمارها التي نجنيها، و الوصول إلى الله تعالى: تمرتها التي نذخرها بفضل الله و نقتنيها... شجرة لعمر الله يانعة، و على الزعازع متمانعة... ظلها ظليل، و الفائز بجناها قليل، و سمت إلى النجوم، و تنزهت عن أعراض الجسوم، و الرياح الحسوم، و سقيت بالعلوم، و غذيت بالفهوم"[1]

و قد قسم المؤلف كتابه إلى أقسام ستة

القسم الأول:

خطبة الأغراس و توطئة الغراس.

و تعتبر مدخلا مهد به لوصف الشجرة، حيث تحدث عن الأرض و طبيعتها و طبقاتها."القلب . الروح . النفس . السن." و شعبها الكامنة، و مكوناتها و أصنافها الصالحة لغرس "النفس المطمئنة، النفس الأمارة، النفس اللوامة" و العوامل المشجعة على فلاحتها "من جذبة و يقظة " ثم الماء الضروري لسقيها "العقل و النقل" ومقداره، و الغبار المساعد على التكوين و أنواع الحرث و التنظيف التي تسبق الغرس و غير ذلك. فكان هذا القسم، دراسة تحليلية دقيقة للنفس البشرية.

القسم الثاني:

الأسباب في الحب اللباب.

و تناول فيه الأصول التي تساعد الفلاح لفلاحة الأرض، كالنبوة من حيث العقل و النقل ثم الإيمان و الاعتبار العامي و ما يتبع ذلك من اليقظة، و التوبة و العناية و التوفيق، ثم الموعظة و السماع، و بعد ذلك، انتقل إلى العقل و الطبع، من خلال

-1- روضة التعريف .1/101-102.

الفلسفة و سلامة الفطرة، و معرفة الجمال و الكمال ثم السلوك بالفكر، ثم يختم هذا القسم بالحديث المفصل عن الذكر،باعتباره احد أهم أسباب المحبة فيذكر أراء و أقوال الحكماء و المتصوفة في ذلك و أثره على السالك، ثم أنواعه و أصنافه.

القسم الثالث:

العمود المشتمل على القشر و العود، و الجنى الموعود.

و هو قسم خاص بمعنى المحبة و اشتقاقاتها و مرادفاتها، و دلالاتها عند العرب، لغويا و أدبيا، ثم إثبات مشروعيتها عقلا و نقلا، و أنها أصل الوجود كله، ليصل في النهاية إلى المحبة الإلهية " و هي بيت القصيد"، فيذكر تعريفاتها و مقوماتها و ما ينتج عنها من أحوال و مقامات لدى المريد.

القسم الرابع:

و هو الفرع الصاعد في الهواء على خط الإستواء من رأس العمود القائم إلى منتهى الوجود الدائم.

و تحدث فيه عن "فرع" شجرة المحبة، و هو المعرفة ، فيفصل الكلام حول: مفهوم المعرفة، و ما قيل فيها، و أوصاف العارف و علومه " و تفضيله، هذا ما يتعلق" بالقشر".أما "الجرم" فقد قسمه بدوره إلى ظاهر/و باطن/و قلب.

(1) فالظاهر: يشمل الأخلاق ، و منشأها، و إفراطها، و تفريطها، بحسب الطباع البشرية، و اعتدالها و علاجها، إضافة إلى المجاهدات و الرياضيات الصوفية المفضية إلى تلك المعرفة.

(2) و الباطن: يشمل قضية علاقة الله بالسعادة الكبرى، و ما قيل في ذلك.

(3) و القلب: يتضمن الرياضة، و المجاهدة، و السلوك، و ما ينتج عنها من مقامات.

و تتفرع منها عشرة غصون:

-1- غصن فروع البدايات.

-2- غصن فروع الأبواب.

-3- المعاملات.

-4- الأخلاق.

-5- الأصول.

-6- الأودية.

-7- الأحوال.

-8- الولايات.

-9- الحقائق.

-10- النهايات.

ثم ينتقل إلى كيفية السلوك بالذكر، و يختم بالحديث عن الولاية التي هي الجنى و الثمرة و المقصودة من كل هذه العملية فظاهر العمود: الأخلاق و المجاهدات الصوفية،

و باطنه: النظر إلى وجه الله، و قلبه المقامات التي يمر بها العارف في طريقه نحو الولاية، و هي ثمرة الحب الإلهي على الإطلاق.[1]

القسم الخامس:

تفرع ضخام الغصون من شجرة السر المصون و قسمه على أربعة غصون كبيرة.

-1- غصن المحبوبات

و يشمل أربعة أفنان:فنن الرب المحبوب، و فنن الدنيا المحبوبة، و فنن الآخرة المحبوبة.

-2- غصن المحبين و أصنافهم.

و يشمل أراء المفكرين القدماء، كالفلاسفة اليونان، و الاشراقيين، و الفلاسفة الإسلاميين، و المتكلمين، و أهل الوحدة المطلقة، ثم الصوفية، الذين فضلهم على جميع الأصناف المذكورة، و اعتبرهم المحبة و شواهدها.

و قسمه أيضا إلى ثلاثة أفنان:

. ما يرجع إلى حقوق المحبوب.

. ما يرجع إلى باطن المحب.

. ما يرجع إلى ظاهره.

-3- غصن أخبار المحبين.

و هذا الغصن يعتبر خزانة أدبية فريدة، جمع فيها المؤلف تراثا ضخما مما يتعلق بحكايات العشاق، و أخبارهم و نوادرهم، و جعلهم أصنافا ثلاثة.

. المجاهد المكابد.

-1- د.محمد الكناني/تحقيق، روضة التعريف 43/1.

. الجريح.

. القتيل.

القسم السادس:

حوائج الشجرة، و مضار فلاحتها المعتبرة.

و قد جاء هذا القسم على شكل خاتمة تحدث فيها عما يعتري هذه الشجرة بعد استوائها من مضار تتعلق إما بالماء، أو التربة، أو الرياح، أو غفلة الفلاح، فتعترض طريق السالك، و تعوق سيره نحو الله.

و في الأخير، و ضع المؤلف على رأس الشجرة طائرا يتحدث بلسانه فيعترف بالتقصير، و يعتذر عنه بالشواغل السياسية و الاجتماعية.أما المبدأ الأساس الذي انطلق منه ليصل في النهاية إليه، فهو أن أصل الوجود كله محبة[1]،وأن كل البشر محبون عشاق للذات الإلهية، لكن لكل طريقته الخاصة في السلوك؛ و سواء كانت الطريقة موصلة أو مضللة، فإن الهدف عند الجميع واحد. فكلهم"فراش يدور حول ذبال الحق".

المصادر و المراجع

1. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة المؤلف:أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ). تح: محمد بن المعيد ضان. مجلس دائرة المعارف العثمانية صيدر أباد/ الهند ط2: 1392هـ/1972م
2. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي أبو الفلاح. تح: عبد القادر الأرناؤوط . محمود الأرناؤوط 1406هـ . 1986م
3. روضة التعريف بالحب الشريف . الوزير لسان الدين بن الخطيب تح: عبد القادر أحمد عطا. دار الفكر العربي
4. ديوان الصبابة لابن أبي حجلة المغربي. دار مكتبة الهلال بيروت 1400هـ 1980م

DEROUICHE Hayet
Maitre assistant A.
Universite Oran2.Moamed Ben Ahmed.
Departement d'espagnol.
Domaine de recherche.Linguistique ARABE
E-Mail :hayetdz31@hotmail.fr

-1- روضة التعريف 358/1.